وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

شهـــادة مشاركـــة

تمنح هذه الشهادة للدكتور: **ناصر بركة**

نظير مشاركته في الملتقى الوطني الثالث حول "السرديات" الموسوم بـــ:

"شعريّة السرد في القصّة القصيرة جدّا"

بمداخلة عنوانها: **لغة السرد في القصّة القصيرة جدّا**

من قصدية التوظيف إلى جمالية التكثيف

المنعقد يومي: **10.09** ماي **2017**

عميد الكلّية

عميد كلية الآداب و اللغات

بالنيابة

الأستاذ رحيم حسين

رئيس الملتقى

أ. عبد الله بن صفية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي– برج بوعريريج

كلّية الآداب واللّغات

الملتقى الوطني الثالث حول

السرديات

بعنوان:

شعريّة السرد في القصّة القصيرة جدّا

09/ 10 ماي 2017

الجلسة الموازية الرّابعة (10:30 – 12:00)

رئيس الجلسة: د/ عزوز زرقان ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.تقية هاجر	الـ (ق ق جدا) (قراءة في التراث السردي في ظل تقنيات السرد المعاصرة ـ الخبر أنموذجا ـ)	سطيف2
أ.رحامنية ليلى	المتخيل والـ (ق ق جدا)؛ التشكّل والدلالة	سوق أهراس
أ.أعدور نبيلة	آليات السرد الساخر في قصص حسن برطال؛ مقاربة تداولية	برج بوعريريج
أ.إيمان مليكي	تجريب تداخل القصة القصيرة جدا مع التقنيات السينمائية	باتنة
أ.يونس عبو	القصة القصيرة جدا مقاربة فنية؛ قصة الرجل والكلب لـ محمد سعيد الريحاني أنموذجا	برج بوعريريج
أ.مديحة الشريف	القصة القصيرة جدا والموروث السردي	البويرة
أ.نورة تواتي	الأبعاد الجمالية في بناء الـ (ق ق جدا) حاء الحرية لـ: محمد سعيد الريحاني أنموذجا	برج بوعريريج
أ.بوديسة فاطمة الزهراء	شعرية السخرية في (ق ق جدا)؛ مجموعة تسونامي لمصطفى لغتري أنموذجا	المسيلة
أ. عادل رماش	البناء والدلالة في القصة القصيرة جدا "أين ولدي" لفاروق مواسي أنموذجا	برج بوعريريج
أ.فاطمة الزهراء زروقي	معاينة القصة القصيرة جدا في جدولة إشكالية التجنيس	البليدة
مناقشة عامة		

الجلسة الختامية (12:00)

* قراءة البيان الختامي ... رئيس اللّجنة العلمية: د/ بوبكر الصديق صابري.
* كلمة رئيس لجنة التنظيم ..... أ/ صالح دريسي
* كلمة رئيس الملتقى ..... أ/ عبد الله بن صفية
* كلمة عميد كلّية الآداب واللّغات .....أ.د/ رحيم حسين
* كلمة مدير جامعة محمد البشير الإبراهيمي .. أ.د/ عبد الكريم بن يعيش

الجلسة الموازية الثّانية (11:00 – 12:30)

رئيس الجلسة: د/ سليم سعدلي ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ. نسيمة بوزمام	تجليات الرمز في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
أ.فايزة دبيش	النص الغائب في القصة القصيرة جدا	البويرة
أ.خلف الله حنان	الـ (ق ق جدا) في ضوء المقاربات النقدية	برج بوعريريج
أ.منال بن حميميد	القصة القصيرة جدا والوسيط الإلكتروني	المسيلة
أ.ليندة بن عباس	القصة القصيرة جدا في الأدب العربي	برج بوعريريج
أ.أم الفداء مالك	السرد؛ الدلالة والتمثلات	سطيف2
أ.أسماء بن قري	جماليات اللّغة في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
أ.محمد الأمين غوغة	الرؤية النقدية عند حسين المناصرة في كتابه (القصة القصيرة جدا؛ رؤى وجماليات)	تمنراست
أ. لويزة حوفاف	الخصائص الفنية للقصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
مناقشة عامة		

الجلسات الموازية (اليوم الثاني 2017/05/10)

الجلسة الموازية الثّالثة (9:00 – 10:30)

رئيسة الجلسة: أ/ حنيفة بداش ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.عنتر مخناش	القصة القصيرة جدا في ميزان النّقد	برج بوعريريج
أ. قدور عبدلي	الشعرية وتجلياتها في القصة القصيرة جدا	البويرة
أ.قادة براهيم	سوسيولوجيا القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
أ.نور السادات جودي	طموح التجديد ومسار التبعية في كتابة الـ (ق ق ج)، قراءة في حاء الحرية للريحاني	باتنة
أ.هدى بليل	الـ (ق ق جدا) بين المنجز السردي العربي القديم وآليات الكتابة السردية الغربية	برج بوعريريج
أ.نورة بن تهامي	القصة القصيرة جدا بين التأسيس والتأصيل	البويرة
أ.فيروز شريفي	الـ (ق ق ج) في السرد العربي؛ النشأة والتطور	المسيلة
أ.حمودي فضيلة	سمات الـ (ق ق جدا) وأبعادها الدلالية	بسكرة
أ.عبدالحفيظ شريف	الـ (ق ق ج) بين اقتصاد اللغة وعناء التّلقي	برج بوعريريج
مناقشة عامة		

اليوم الأوّل: الثلاثاء 09/ 05/ 2017

الفترة الصباحية: (08:30 – 09:00)

الجلسة الافتتاحية

- آيات من الذكر الحكيم
- النشيد الوطني
- كلمة رئيس الملتقى ..... أ/ عبد الله بن صفية
- كلمة عميد الكلّيـة ..... أ.د/ حسيـن رحيـم
- كلمة افتتاحية للسيد مدير الجامعة أ.د/ عبد الكريم بن يعيش

الجلسة العلمية الافتتاحية (09:00 – 09:30)

رئيس الجلسة: د/ بوبكر الصديق صابري ..... برج بوعريريج

الأستاذ المحاضر: د/ مبروك دريدي ..... جامعة سطيف2

القصة القصيرة جدّا وسؤال القراءة المتلقي منتجا للفهم

الجلسة العلمية الأولى (9:30 – 11:00)

رئيس الجلسة: د/ ياسين بغورة ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د.عامر رضا	الـ (ق ق جدا) بين مرجعية التراث ومأزق الطرح الغربي	ميلـة
د.ناصر بركة	لغة السرد في الـ (ق ق ج)؛ من قصدية التوظيف إلى جمالية التكثيف	المسيلة
د.عزوز زرقان	معالم الإبداع اللغوي في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج

مناقشـــة عامـــة

اليوم الثاني: الأربعاء 10/ 05/ 2017

الجلسة العلمية الثالثة (9:00 – 10:30)

رئيس الجلسة: د/ عبد الناصر مباركية ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. ميداني بن عمر	القصة القصيرة جدا وقصيدة النثر المأزق العبر – نوعي ومعضلة التلقي	الوادي
د. لزهر فارس	شعريّة السَّرد في عشر قصص قصيرة جدًّا لحسن برطال.	تبسة
د. موسى لعور	القصة القصيرة جدا؛ الماهية والمفهوم	برج بوعريريج
أ.عبد المجيد قديدح	المنحى الوظيفي في الـ (ق ق جدا)	برج بوعريريج

مناقشـــة عامـــة

الجلسة العلمية الثانيـة (11:00 – 12:30)

رئيس الجلسة: د/ زهرالدين رحماني ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د. محمد دبيح	شعرية العنوان في القصة القصيرة جدا المجموعة القصصية "كمثل ظلّه" لسعيد موفقي أنموذجا	تيارت
د. مصطفى ولد يوسف	تشكيل الدلالة ودلالة التشكيل في مجموعة «ديدان آخر الليل للقاص عبدالقادر برغوث»	البويرة
أ. محمـد يوسف غريب	من "الميني لغة" إلى "اللّغة" في القصة القصيرة جدّا	تيبازة
د. موفق عبد السميع	التلقي والتأويل في الـ (ق ق ج) من الاعتبار إلى الاختبار؛ مقاربة إبستمولوجية	برج بوعريريج

مناقشـــة عامـــة

الجلسة العلمية الرّابعة (10:30 – 12:00)

رئيس الجلسة: أ/ ناصر معماش ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
د.خالد وهاب	التجنيس ومغامرة التجريب القصصي الومضة المتدحرجة أنموذجا	المسيلة
د.فتيحة بلحاجي	شعرية القفلة في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
د. قرفة زينة	الجمالية الفنية في القصة القصيرة جدا أعمال حسين مناصرة نموذجا	برج بوعريريج
أ.إيمان ملال	جمالية القراءة والتلقي عند حسن المودن	خنشلـة

مناقشـــة عامـــة

الجلسات الموازية (اليوم الأول 09/ 05/ 2017)

الجلسة الموازية الأولى (9:30 – 11:00)

رئيس الجلسة: أ/ بشير عزوزي ..... جامعة برج بوعريريج

المحاضر	عنوان المداخلة	الجامعة
أ.تقبايت حامدة	بلاغة الصورة السردية في الـ ق ق جدا	برج بوعريريج
أ.سعاد أرفيس	بنية السّرد في قصّة شظايا متوهّجة لرائد الحسن– مقاربة سيميائية–	المسيلة
أ.أم السعد فضيلي	شعرية العنوان في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
أ.بوفنش الطاهر	دراسة فنية وموضوعاتية في "حاء الحرية " لمحمد سعيد الريحاني"	عنابـة
أ.قصابي صليحة	شعرية المفارقة في القصة القصيرة جدا	برج بوعريريج
أ.شفيقة عاشور	البنية الفنية في قصة "انتظار امرأة لـ "زكريا تامـر"	بجايـة
أ.فايزة بن كروش	سيميائية الأهواء في الـ (ق النسوية ق ج)	المسيلة
أ.عمر بن صغير	تجليات السخرية في القصة القصيرة جدا	الجزائر2
أ.محمد حكيمي	جماليات الـ (ق ق جدا) في الوطن العربي	الجلفـة

مناقشة عامـــة

عنوان المداخلة:

لغة السرد في القصة القصيرة جدا- من قصدية التوظيف إلى جمالية التكثيف

د/ ناصر بركة جامعة المسيلة

ملخص:

إنّ إمعان النظر في مساءلة عوالم الكتابة السردية ضمن أطرها المعرفية ومرجعياتها اللغوية يؤكد، والحال هذه، أهمية البحث عن التحولات التي تنتاب العملية الإبداعية وفضاء التشكيل الفني؛ لتظل تلك العملية على تعقيدها دليلا على أهمية الدور الذي يمكن أن يضطلع به فعل الكتابة في التعريف بالذات وحضورها الورقي الماثل في كيان النص اللغوي بما هو مرجعية فاعلة تؤسس لآلية قراءة من نوع آخر تجعل من اللغة بؤرة مركزية منها الابتداء وإليها الانتهاء.

هكذا ليس في إعادة بناء المتخيّل كتابةً في رحاب القصة القصيرة جدا إلا محاولة لإيجاد عالم ورقي يحيل أحداثها ومواقفها إلى لغة خاصة تغدو معها حركات الذات المبدعة وسكناتها واقعة لغوية تلفت الألباب إليها لا إلى سواها، بما هي بُـنى تستثير القارئ ليبحث عن طبيعة مادتها ومدلولاتها، فإذا الكلمات جمل والجمل فقرات والفقرات نص والنص إبداع من نوع آخر.

ويبدو أن السعي إلى تمثّل ما للغة من دور في تأثيث معمار هذا النوع من الكتابة الأجناسية وتكثيف معطياته الدلالية وما تتضمنه من أحاسيس ومشاعر ووقائع وأحداث ومشاهد يتعدى بامتداده الفني ومحاورته للمتلقي قصدية التوظيف للغة مثلما يتضح في نظامها القار، فارضا بانفتاحه على المعنى وتعدد القراءات نمطا من أنماط التلقي القائم على إشراك القارئ في تفعيل بنيات هذا النظام اللغوي بحثا عن مستويات المعنى وأبعاد التأويل.

توطئة:

يُمثل النص الأدبي نسقا له امتداده الفني الذي ينقله من مقصدية الكاتب إلى سلطة المكتوب، حيث تتجلى فيه بصمة اللغة بانفتاحها على نظامها بناموسه الخاص وقاموسه اللافت، وهو ما يعني أن لها حضورا منفتحا على الكتابة والقراءة والماضي والحاضر والمكان والزمان والتذكر والتفكر، وهي الثنائيات المتفاعلة في مبنى النص الأدبي ومعناه.

ويسمح استثمار المعطى اللغوية بتأسيس نوع خاص من القراءة تتحدد معها هوية النص الأدبي بخلفياته المعرفية ومرجعياته الثقافية، التي لها دورها في تجسيد حضوره وتحقيق إشعاعيته في سياق ما انتظم من القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء أكانت القرائن مقالية أم حالية[1]، لذا يسعى هذا النص بحضوره هذا إلى تحقيق أدبيته بتحويل اللغة من كونها انعكاسا للعالم أو تعبيرا عنه أو موقفا منه إلى أن تكون هي نفسها عالما آخر، ربما بديلا عن ذلك العالم مثلما يرى فان ديك(V.dijk) ؛ فهي إذًا (سحر البيان) الذي أشار إليه الأثر النبوي الشريف، وما السّحر إلا تحويل للواقع وانتهاك له[2] في تجاوز لوضع اللغة السكوني للغة وانغلاق البنيات النصية المكونة لمستوياتها المتفاعلة، انتقالا بها من المستوى التنظيري إلى مستوى الممارسة المستمد حراكه من فاعلية الواقع الثقافي وسياقاته التي تعني المواقف الفعلية التي توظف فيها الملفوظات، والمتضمنة بدورها ما يحتاجه المرء لفهم ما يقال وتقييمه[3].

وهاجس السؤال حينما يتعلق بطبيعة القصة القصيرة جدا فإنه مرتبط أكثر بجدلية الكتابة/ القراءة في ظل اعتراف ضمني بانفتاحها على عمليات معقدة قد لا تكتفي في ظاهرها بما تطرحه آلية التلقي التي تشترط قارئا/ متلقيا/ يستهويه الإبداع وتؤثر فيه اللغة وقد استحالت مشحونة بالمعنى وما وراء المعنى، لكن وفي ظل هذا الهاجس المعرفي كيف يُمكننا التأسيس لنوع من القراءة تُــراعى فيها خصوصية لغة السرد في القصة القصيرة جدا؟ وهل تستطيع هذه القراءة أن تختصر مرحلية الانتقال بلغة الكتابة من مقصدية التوظيف إلى جمالية التكثيف؟ ألا يثير هذا المُعطى هاجس السؤال وشغف الإجابة عنه في الآن نفسه؟

القصة القصيرة جدا وجدلية المكتوب/ المقروء

يُنظر إلى فعل الكتابة على أنه وسيلة من وسائل التعبير عن الذات، بطريقة مبنية على محاولة تموقع لغوي متفرد، له مستوياته الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية؛ لتنصهر في جسد النص نفسه "روافد فردية واجتماعية ونفسية وأيديولوجية ولغوية وآنية وزمانية، كما أن علائقه الباطنة والظاهرة بمجمل السياق الثقافي للأمة ماضيا وحاضرا يتشاجن ويتشقق بعضها من بعض"[4] ضاربا مع القارئ موعدا كي يستنطق دلالاته ويفك رموزه.

إنّ النص المكتوب انطلاقا من تشكيله اللغوي هو الذي "يستطيع القارئ في كل قراءة أن يكتبه وينتجه وهو يقتضي تأويلا مستمرا ومتغيرا عند كل قراءة ولهذا يتحول دور القارئ إلى دور إيجابي نشط"[5]، ويبدو أن صورة النص الورقية/ اللغوية الجديدة قائمة على الصفة المرجعية الفاعلة الذي يجسد أصالة الإبداع انتماءً وبناءً، بما اكتسبه من معطيات فنية وواقعية هي بالأساس لبّ تشكيل نواته الأولى بأبعاد هندسية وامتدادات مؤثرة لها مجالها المنتمية إليه.

هكذا تتأسس القراءة ههنا على مستويات متلاحمة تلاحما عضويا تتمظهر فيها فاعلية النص وجمالية تلقيه واستمرارية وجوده وتعدد دلالاته، وبهذا تكون الكلمات أقدر على الحركة من المعاني لأنها تستطيع في مرحلية انتقالها النصي وارتحالها الفني أن " تعني أي شيء ويكفي في ذلك تأسيس سياق يوحد هذا المعنى الجديد"[6] لذا، يبدو نص الكتابة في القصة القصيرة جدا بما له من مرجعية لغوية نصا تمدديا له مجاله هو "مجال الدال الذي لا يهدي إلا دالا مثله وبذلك تستمر دوائر التدليل في انفتاحها اللامتناهي، فمنطق الكتابة في مقامها هذا متأسس على التجاوز والإحالة والإيحاء المكثف"[7] وهذا ما يبرر أهمية اللغة الموظفة في فضاء المتخيل السردي وقدرتها على تكيثف المشاهد والمواقف والأحداث.

والحقّ أنّ الاهتمام بما يؤثث أطر الإبداع المتحكمة في هذا النوع من النصوص بطابعها الأدبي وتشكيلها اللغوي يحيل الدارس على مسألة العلاقة بين أفق النص/ الكتابة، وأفق المتلقي/ القراءة، وتلك وشيجة يمكنها أن تسنح بتحديد جمالية الأدب وحضوره بتحوله، حسب "بارت" (R.barth)، إلى مجال منهجي لا يعرف النهايات لتميزه بالحركة والفاعلية المستمرة، وانطوائه على تعددية المعنى، الذي لا يمكن أن تقتضيه شبكة التفسيرات لطبيعته الانفجارية، كما أنه يتفاعل مع غيره من النصوص[8] بانتظام علاقاته الداخلية والخارجية التي تربطه بالذات المتلقية له، وبهذا يتاح لها بوصفها ممارسة لفعل القراءة فك رموز النص من زوايا متعددة الجهات[9].

وهذه المعطيات النصية متعلقة أكثر بالقدرة على استثمار ما تتيحه اللغة من إمكانية الاختيار والتركيب والتأثير؛ وتلك خصيصة قد لا تتأتى إلا بالاعتماد على ما يتيحه فعل الكتابة من طرائق فنية للمواءمة بين عالمين أولاهما تخييلي والآخر واقعي، وهو ما يتطلب قدرة ودربة ودراية بأصول اللغة وأفانين التصوير، ينقل فيها الكاتب/ المبدع مواقفه أو مشاعره من مستواها

الذاتي الخاص إلى مستواها المكتوب/ المقروء في شكل واقعة لغوية وإبداع من نوع آخر، وبداية لحياة متجددة قوامها دورٌ سيضطلع به النص في محيطه الذي ينتسب إليه أو في بيئات أخرى سيشد إليها الرحال ولو بعد حين، وفي طياته ذاتٌ كاتبة/ منتجة ترى النص المكتوب "تجربة ومعرفة وتقنيات وأسلوب ومتخيل معين، لكنه يظل دلاليا فعلا ناقصا ما لم يتهيأ له فاعل جمالي ضروري هو بالذات فعل القراءة"[10]، فتلاقي النص والقارئ يمنح للنص الأدبي وجوده، لأنه يتجاوز اللحظة التي أنتج فيها ليتلقى في أزمنة عديدة، وكلما توفر البعد الإنتاجي في النص كانت إمكانيات إنتاجه من خلال التلقي مفتوحة[11].

إذ لم تعد الأعمال القصصية، وفقا لهذه النظرة، وثائق/ أثر لا تحيل إلا على أصحابها، بل قصارى ما تهدف إليه في مقامها هذا أن تبلغ بفاعليتها اللغوية مبلغا قد يتجاوز إلى أبعد من فعل الكتابة نفسه، علّها تسمح بتجديد آليات التلقي وفقا لمتطلبات رؤية واعية، تقيم علاقات دائمة التجدد بين الظرف الإنساني وبين الجوهري الموروث، صقلا له ومواءمة بين الثابت والمتحول[12]، فلا ينظر إلى هذا الفعل على أنه تبعية لسلطة النص وصاحبه مضمونا وموقفا، إنّما بوصفه فعلا منتجا للأدب يسعى به صاحبه إلى تجاوز مرحلة ساكنة للوصول إلى مرحلة متفاعلة ضمن صيرورتها التاريخية التي "تحيل الشيء أو الظاهرة من وضع إلى آخر، مكسبة إياه سمات مختلفة باختلاف الزمن، لذلك ننظر في هذه التغيرات في ذاتها، ومن زاوية علاقة الشيء المتير بغيره من الظواهر في الحقبة الزمنية نفسها"[13]

لذا، فإن الكتابة ههنا نقضٌ لكل صوت غير صوت صاحبها، فراهنها قائم على لغة التكثيف بما لها من مستويات تجعلها وسيلة من وسائل النقل والتعبير، بأساليبها التي تخلخل شفافية المكتوب مبعدة إياه عن درجة الصفر بانخراطه في تفاعل الدوال والنظم والنصية، التي تستمد طاقتها بدءا مما يمكنه الإسهام في رسم معالم عملية الكتابة الإبداعية؛ فإذا هي متضمنة لإشارات دالة على هوية لغة النص وانتمائه الأجناسي.

لغة السرد والتشكيل الفني في القصة القصيرة جدا

في سياق أدبي يتسم بتماهي الحدود بين الأنواع والأجناس ظهرت القصّة القصيرة جدّا التي لا تختلف فنيا عن أنواع السرد الأخرى، لاسيما أنّها تحتاج إلى المهارة والقدرة على تحديد ملامحها

الفارقة، ذلك أنّ ترنح السرد بين مخيلة الكتابة وبين محدودية الفضاء يجعل هذا السرد مُحمّلا بعناصر البناء الفني في مساحة نصية محدودة، وهو ما أدى بأهل الرأي من المهتمين بالسرديات إلى استخدام تسميات متعدّدة تمييزا لشكل القصّة القصيرة جدّا وأبعادها الفنية مثلما حاول أحمد جاسم الحسين استعراض أهم المصطلحات التي عبّرت عن هذا الشكل الأدبي بتصنيفه إيّاها وفقا للتفريع الآتي:

. مصطلحات زمنية: كالقصّة الجديدة والقصّة الحديثة والحالة القصصية والمغامرة القصصية، وهي جميعها تنطلق من حكم وصفي يزول بالتقادم.

. مصطلحات الأجناس الفنية: كاللّوحة القصصية والصورة القصصية والنكتة القصصية والخبر القصصي والشعر القصصي والخاطرة القصصية، وهي جميعها تشترك مع فنون أخرى، كما تؤكّد على الصفة (القصصية) وتعمل على إبرازها أكثر من الموصوف .

. مصطلحات دلالية: كالقصّة القصيرة جدّا والقصّة الومضة والقصّة اللقطة والقصّة القصيرة للغاية والقصّة المكثّفة والقصّة الكبسولة والقصّة البرقية، وتشترك جميعها في دلالة السرعة وصغر الحجم[14].

في حين يعتقد آخرون في معرض سعيهم لتفكيك البنية المركبة للمصطلح أنه متكون من ثلاث كلمات؛ تشير الأولى والثانية إلى نوع أدبي راسخ ومتميّز من حيث تقنياته الجمالية هو(القصّة القصيرة).أمّا اللاحقة(جدّا) فإنّها تشكّل مع التآلف الاصطلاحي للمفردتين الأوليين (القصّة القصيرة)[15] وما يعني الباحث في ظل استقرائه لتنوع الوضع المصطلحي للقصة القصيرة جدا هو التأكيد على خصوصية انتمائها الأجناسي شكلا ومضمونا على الرغم من تقاطعاتها مع غيرها من أنواع الكتابة السردية الأخرى في عناصر فنية معينة.

ومن المفيد التأكيد هنا على أهمية البعد التأريخي لظهور القصة القصيرة المرتبط بواقع التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية وهذا بالموازاة مع التطوّرات التكنولوجية المتسارعة التي شهدها العالم، وتنامي مشاغل الإنسان قد قرّبت إليه هذا الشكل من الفن الأدبي بحجمه المحدود الذي قد لا يتجاوز الصفحة الواحدة ومحدودية كلماته وأسطره وأسهمت ظروف كثيرة في بروز

الاهتمام بفن القصّة القصيرة جدّا ، حتى صار هذا الاهتمام ملفتا للانتباه ومحطّ جدل في كينونته وماهيته وشرعيته وتأثيره.

وفضلا عن العامل الموضوعي السالف ذكره والمقرون بالثراء المعرفي وانتشار التقنية، لم يكن ظهور هذا الفن بمعزل عن العوامل الذاتية المتعلقة بدرجة القصدية والوعي عند القاص التي تدفعه إلى محاولة الابتكار والتجديد[16] ومواكبة ما يطرأ على الواقع من تحولات متسارعة أفرزت في شكل من أشكالها التأثيرية مظاهر تجديدية مسّت أنماط التفكير وطرق المعاملة وأجناس الكتابة، وتلك مجالات ما كان لها أن تحظى بقدر من الاهتمام لولا هامش الحرية الذي أتيح للفرد، وهي الحرية التي لا يزال صداها يمثل شعارا يتغنى به دعاة الحداثة حتى تبنوه في توجهاتهم التنظيرية وممارساتهم التطبيقية، تأكيدا منهم على أن الإبداع لا يمكن أن يزدهر في ظل صنوف القهر وألوان الاستعباد الممارس ضد الفرد في انتمائه الأسري والاجتماعي.

إنّ الحديث عن لغة السرد في امتدادها النصي وانتقالها من مستواها التواصلي/ الإبلاغي إلى مستواها الفني/ الجمالي ينم عن كفاءة هي بالأساس حصيلة إسقاط محور الفعل/ الكتابة على محور السياق، هذا الإسقاط يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته وبه تتحدد كفاءتهم التواصلية، وهو ما يبيّن أهمية فعل الكتابة ودوره في بناء فضاء القصّ الذي سيسعى منذ لحظة انفصاله عن مبدعه إلى تحويل وجهته صوب أمكنة شتى لأنه صار اختصارا "ملكا للغة ونظمها الإشارية والدلالية وإيحاءاتها التي لا تنتهي"[17]؛ فمضمون اللغة الساردة انطلاقا من هذا التصور متعالق بمادة الكتابة مثلما تتجلى في ارتحال النص الفني كتابة وقراءة، ومتعالق أيضا بعنصر القصدية الذي يشير، في معنى من معانيه، إلى الطرق المتخذة من قبل منتج النص لمتابعة مقاصده والسعي لتحقيقها[18]، وليس خافيا في هذا المضمار أن السمة الأساسية الملازمة لمفهوم القصة القصيرة جدا متأسسة على "عناصر تخييلية قادرة على تحويل انتباه القارئ، عن كل ما هو يومي مبتذل إلى ما هو مثير وجديد ومجاوز للواقع المألوف لهذا السبب لعب الخيال دورا أساسيا في تقدير قيمة النتاج الأدبي ودرجة اتساع مجال تداوله أو استهلاكه"[19] ورواجه الداخلي والخارجي.

والخيال بناء على ما لهذا النوع من السرود من مرجعية لغوية هو"القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، لا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدركات وتبني منها عالما متميزا يجعل منها ميزة يتفرد بها المبدع عن غيره.

إنّها، أي تلك القدرات، قيادة للتأمل في مغامرة جمالية "نحو المجازفة والابتكار فالتأمل داخل ناظمة الخيال يفقد وجهه السلبي المدجن؛ الذي لا يتعدى حالة الاسترخاء والتحليق في فضاءات موهومة، ويمارس دوره الكشفي في شق الحدود والتآلف مع معطيات اللاممكن"[20]؛ ولا يمكن أن ترتسم ملامح الصور المتخيَّلة إلا بالاعتماد على مخزون لغوي له دوالّه ومدلولاته الخاصة يسنح بالتعبير عن المواقف والرؤى ضمن فضاء السرد الفسيح، لذا، يؤدي انفتاح اللغة في القصة القصيرة جدا على التعدد الدلالي إلى إشراك القارئ في إنتاج المعنى وتوجيه بنياته بما يتواءم ومعطياته النصية ومستوياته المكونة، بدءا بمستواه التركيبي الظاهر وانتهاء بمستواه البلاغي المضمر، وعلى ما يبدو فإن هذين المستويين لا يمكن للقارئ الخوض فيهما ما لم يكن مزودا برصيد لغوي يتناسب ولغة النص نفسه وإلا اتسمت تلك القراءة بالسطحية لملامستها ظاهر النص دون عمقه.

وهذا ما يؤكد تفاعل مكونات النواة السردية في القصة القصيرة جدا مشكلة ما يُصطلح عليه بالملفوظ السردي الذي يُشتق من النص "اعتمادا على مؤشرات عدة لا ترد مجتمعة بالضرورة في محل نصي واحد ذي حيز مقلص، فقد تكون متفرقة، وتقع في محال نصية متباعدة نسبيا.وقد تكون النواة السردية بسيطة متكونة من ملفوظ سردي واحد، وقد تكون مركبة من ملفوظين سرديين أو أكثر"[21]

وعليه يتجه هذا الملفوظ السردي في انفتاحه دلاليا إلى سلوك مسلك آخر أقرب ما يكون إلى مخالفة المألوف وكسر أفق الانتظار؛ لانبنائه نصا وعنونة على توجه لساني سواء تعلق الأمر بالتركيب النحوي أم بالتعالق الدلالي وكلاهما له وجوده الفاعل في عملية التحليل، فناتج الأول بنية عميقة ترتسم معها دلالات أفق التوقع الذي يوافق مضمون النص أو يعاكسه، وحاصل الثاني تعالق العناوين ونصوصها وفي الحالتين يبدو عنصر الدلالة ظاهرا[22]، بيد أنّ لغة السرد في القصة

القصيرة جدا لا تمنح مساحة للتراخي اللغوي في التعبير بل يتم الانتقال بهذه اللغة من قصدية التوظيف إلى مستوى تتحقق فيه جمالية التكثيف، لذلك يسود الاعتقاد بأهمية هذه النقلة بين المحطتين السابقتين تجنبا للوقوع في النمطية والقوالب الجاهزة.

بذا، يكتسب التكثيف في أبعاده الجمالية حمولة توصيفية لدوره في الفضاءات السردية يمكن حصرها تفصيلا وتوضيحا في النقاط الآتية:

– تكثيف بنائي يقتصر فيه القاص على الجمل الأساسية المكونة لنواة النص السردي في القصة القصيرة جدا متجاوزا بالمقابل جملا شارحة أو كلمات مترادفة أو استطرادا يمكن الاستغناء عنه، ويشترط ههنا ألا يفقد النص تماسكه وتجانسه.

– وهناك تكثيف دلالي يستحيل فيه النص فضاءً مفتوحا على التأويل وتعدد القراءات؛ نظرا لطبيعة لغته الموظفة وما تحيل عليه من مفاهيم وتصورات وحركات وسكنات، فمن الألفاظ الموظفة ما يدعو به القاصُّ القارئَ كي يبحث عن مدلول الكلمات وإيحاءاتها سعيا منه لملء فجوات النص وإثراء دلالته.

– وبالمقابل أيضا يُلفي المهتم بعالم السرديات تكثيفا سيكولوجيا متأسسا إجرائيا على التفاعل النفسي لمكونات الذات داخل النص وما يتضمنه بين أسطره من نوازع عاطفية وحالات شعورية، باستطاعة القارئ، انطلاقا من أفق انتظاره، أن يقف على تموجاتها في كيان القصة.

هكذا يبلغ النص المكثّف بمفرداته المكونة لكيانه اللغوي حدود التحرر المتنامي فالكلمة، حينما تستحيل فعلا إبداعيا ببعد خطي، "إشارة حرة ولهذا فهي أقدر على الحركة من المعاني لأن الكلمة تستطيع أن تعني أي شيء ويكفي في ذلك تأسيس سياق يوحد هذا المعنى الجديد"[23]؛ فالكتابة بما هي ممارسة استكشافية تفترض نمطا خاص من أنماط التلقي تراعى فيه قدرة القارئ على القراءة والتأويل والبحث عمّا يتوارى وراء نظام اللغة من دلالات غائرة في عمق اللغة الموظفة، التي تستند في بعدها التكثيفي على مبدأ الاقتصاد اللغوي بما له من فاعلية مؤثرة في اختزال الموضوع وتجسيد التصورات وإيجاز الحدث دون الخوض في تفصيل عناصره المكونة.

لذا، وتأسيسا على ما سبق، فإنّ اشتغال القاص بوصفه كاتبا/ مبدعا ينبني على مدى استيعابه لطبيعة نظام اللغة الموظف وما تمنحه الكتابة من خصوصية لهذا الحضور من أبعاد جمالية وأخرى دلالية يستند عليها المبدع في تأسيس كيان النص لغويا ونفسيا واجتماعيا، وهذا

الارتحال للنص السردي وما يقطعه من مسافة جمالية يجعله مقرونا بحدود فاصلة بين لحظتي الكتابة والقراءة والتي تتماهى بمجرد ولادة هذا النص، في انعكاس آخر لقدرة اللغة على تجسيد الرؤيا الإبداعية واستحضار الأمكنة والمواقف والأحداث وفق تشكيل فني خاص يتطلب من الذات المبدعة وعيا بقيمة الكتابة في تعريفها بالأنا من جهة واستمرارية تأثيرها من جهة أخرى.

إنّ شكل القصة القصيرة جدا، في اعتقاد الباحث، أكثر ارتباطا فنيا بقدرة الحضور اللغوي على إثبات جدواه في تحديد حجم النص السردي من جهة، وأوثق صلة بمرتكزات جوهرية تميزه عن القصة القصيرة التقليدية من جهة أخرى؛ وذلك هو التكثيف في الحدث السردي والاكتفاء بشخصيات أقل وزمكانية مختزلة، وهذا ما يعكس القيمة الجمالية للتجربة الإبداعية حينما تتخذ من اللغة مادة لتجسيد مضامينها المتنوعة التي يصعب إجرائيا تجسيدها إذا لم تُستثمر الملكة اللغوية في تشكيل مستويات النص وتحقيق حضوره الآني والمستقبلي بحثا عن ارتحال آخر وقارئ سيضع بصمته بحثا وتأويلا.

هوامش الدراسة:

1 – ينظر: نجم الدين قادر كريم الزنكي: نظرية السياق، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص63.

2 – ينظر: عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، ط04، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص28.

3 – ينظر: نواري سعودي: في تداولية الخطاب الأدبي– المبادئ والإجراء، ط01، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2009، ص29.

4 – سعد عبد العزيز مصلوح: في النقد اللساني، ط01، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د/ ت، ص230.

5 – ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ط02، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000، ص182.

6 – عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، ط03، دار سعاد الصباح، 1993، ص70.

7 – رولاند بارت: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ط03، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص62.

8 – ينظر: المصطفى مويقن: بنية المتخيل، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2005، ص185.

9 – عمارة ناصر: اللغة والتأويل، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص29.

10 – حسن نجمي: شعرية الفضاء، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2000، ص79.

11 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ط02، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص150.

12 – ينظر: عبد الله الغذامي: تشريح النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2006، ص14.

13 – سعيد يقطين: الكلام والخبر، ط01، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص181.

14 – ينظر: أحمد جاسم الحسين ، القصة القصير جدا ، ط1 ، دار عكرمة ، دمشق ، سورية 1997م ، ص21 .

15 – ياسر قبيلات (متاهة القصّة القصيرة جدّا)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سورية، العدد 420 ، نيسان 2006، ص 81 .

16 – ينظر: فاضل ثامر (ملف القصة القصيرة جدا في العراق) مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب سوريا ، عدد آب 1974 ، ص 37 ، 38.

17 – محمد مصطفى أبو شوارب، أحمد محمود المصري: جماليات الأداء الفني، ط01، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، 2006، ص12.

18 – عزة شبل محمد: علم لغة النص– النظرية والتطبيق، ط01، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، 2007، ص28

19 – حميد لحميداني: القراءة وتوليد الدلالة، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2003، ص11.

20 – محمد صابر عبيد: المغامرة الجمالية للنص الشعري، ط01، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2008، ص10.

21 – عبد الرحيم جيران: علبة السرد، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان؛ بنغازي ليبيا؛ 2013م، ص:42–43.

22 – أحمد مداس: لسانيات النص (نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري)، عالم الكاتب الحديث، إربد، الأردن، 2007، ص44.

23 – عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية)، ص70.